القسم الثانى

الفـــــرق الكلاميــة

- الشيعة
- الخوارج
- المعتزلة
- الأشاعرة
- الماتريدية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الشيعة

يطلق لفظ « الشيعة » لغة على الأصحاب والأتباع ، ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع على وبنيه ﷺ (١) .

وترجع نشأة التشيع إلى ظهور أول خلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ، إذ ظهر اتجاه يقول بأحقية بنى هاشم للخلافة لأنهم أقرب القرشيين للرسول ، وتزعمه على بن أبى طالب ، ووافقه بعض أقرباء الرسول ، لكن هذا الخلاف لم يدم طويلا ، إذ حسمه أبو بكر بذكره حديث الرسول ﷺ : « الأئمة من قريش » (٢) وتمت له البيعة وأذعن له الأنصار وبنو هاشم ، وربما تكون هذه هى بداية ظهور مشايعة على وأنصاره ، ولكن هذه البداية لا تمثل ظهور التشيع كعقيدة فلسفية ، إنما تمثل فقط بداية تاريخية لنشأة التشيع ، خالية من نظريات فلسفية على النحو الذى ساد آراء الشيعة بعد ذلك .

ولقد كان وراء هذا الخلاف حول خلافة الرسول ، خلافا حول طبيعة السلطة التى يجب أن يمارسها خليفة الرسول ، فهل هى سلطة زمانية فقط أو أنها سلطة زمانية روحانية ،ولقد اختلفت المواقف بإزاء هذه المشكلة ، فنجد من قال إن السلطة الروحية انتهت بوفاة الرسول ، وأن على الخليفة أن يمارس سلطة زمانية فقط ، وهؤلاء قالوا إن الخلافة تكون بالاتفاق والاختيار والبيعة والشورى ، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة والخوارج والمعتزلة ، أما الذين قالوا بأن الخليفة لابد له من أن يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية ، فهم

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٧٥ .

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٣٩ وما بعدها .

الذين تشيعوا لعلى بن أبى طالب ، إذ يرون أن السلطة الروحية لم تنته بوفاة النبى ، بل إنها امتدت فى على بن أبى طالب والأئمة من بعده ، وقالوا بأن الخلافة بالنص والتعيين (١) . وعارضوا مبدأ الاختيار لأن الإمامة عندهم ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هى قضية أصولية ، وهى ركن من أركان الدين ، ولا يجوز للرسول عليه الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه للعامة (٢) .

من هنا حاول الشيعة أن يؤكدوا رأيهم فى الخلافة وأنها بالنص فأوردوا نصوصا من الكتاب والسنة وتأولوها بما يوافق رأيهم ويسانده ، وهذه النصوص انقسمت عندهم إلى جلى وخفى .

فالجلى مثل قوله ﷺ : « أقضاكم على » ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله ، وهو المراد بأولى الأمر الواجبة طاعتهم بقوله تعالى : ﴿ **أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾(٣) . ولهذا كان حكما فى قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره .

ومن الخفى عندهم ، أن النبى ﷺ بعث عليا لقراءة سورة « براءة » فى الموسم حين أنزلت ، فإنه بعث بها أولا أبا بكر ، ثم أوحى إليه : ليبلغه رجل منك - أو من قومك ، فبعث عليا ، ليكون القارىء المبلغ ، قالوا : وهذا يدل على تقديم على .

ولقد أورد الشيعة حشدا كبيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأولوها بما يوافق رأيهم ، وهذه التأويلات قد عارضها أهل السنة ، ولقد ذكر ابن خلدون الذى نقلنا عنه نماذج من الأحاديث التى قال بها الشيعة ، أنها أحاديث موضوعة أو مطعون فيها وأن تأويلاتهم فاسدة (٤) .

---

(١) د . يحيى هويدى ، دراسات فى علم الكلام والفلسفة ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٩٥ .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) ابن خلدون ، المقـــدمة ، ص ١٧٦ ، الشهرستانى ، الملل والنحل جـ ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ابن الجوزى ، تلبيس إبليس ، ص ٩٩ .

ولقد آثر الشيعة على بن أبى طالب دون غيره من آل البيت الذين تربطهم بالنبى ﷺ قرابة وصلة رحم ، أو سائر الصحابة لعدة عوامل نذكر منها :

عامل القرابة : فعلى ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام الذى تكفل بتربيته ، وزوج ابنته فاطمة ، ومنها امتد نسل النبى ﷺ إذ لم يترك ولدا .

وعامل القرابة يرتبط بدور الوراثة فى الإمامة عند الشيعة ، فلقد قالوا بانتقال التراث الروحى للكثير من الأنبياء فى ذرياتهم ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾(١)

ولقد ذكر « فلهاوزن » أن الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية . وطبيعة الجنس الفارسى أنه اعتاد الخضوع كالعبيد ، وهم لا يعرفون غير مبدأ الوراثة فى الحكم ، لهذا اعتقدوا أنه ما دام محمد (عليه الصلاة والسلام) لم يترك ولدا يرثه ، فإن عليا هو الذى كان يجب أن يخلفه ، وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل على ، لذا فإن جميع الخلفاء فى نظرهم ما عدا عليا مغتصبين للحكم ، ويحاول أن يربط بين رواسب المعتقدات الفارسية الوثنية وموالاة على ومشايعته ، فلقد اعتاد الفرس أن يروا فى ملوكها أحفادا منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثنى إلى على (٢) .

عامل يرجع إلى شخصية على وصفاته : لقد ذكر الشيعة فضائل على وافتتنوا بها كثيرا ، فذكروا علمه الواسع ، وأنه لا يدانيه فيه أحد ، وتداولوا فيما بينهم حديث الرسول : « أنا مدينة للعلم وعلى بابها » وذكروا أنه اليه تنتهى العلوم الإسلامية من علم كلام وفقه وتفسير وعلوم اللغة من نحو وبلاغة وغير ذلك من العلوم (٣) .

وذكروا أيضا شجاعته فى الغزوات ، فلقد كان أبرز الصحابة وأشجعهم فى القتال ، خاصة غزوة خيبر ، حيث استعصى على المسلمين اقتحام حصن

---

(١) د . أحمد صبحى ، الزيدية ، ص ٣٠ ، والآية من سورة الحديد : ٢٦ .

(٢) فلهاوزن ، الخوارج والشيعة ، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ص ١٦٨ .

(٣) د. أحمد صبحى ، الزيدية ، ص ٣١ - ٣٢ .

خبير ، وقال النبى : « لأعطين الراية غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله كرار غير فرار » ، وسلم النبى الراية لعلى فاقتحم الحصن بعد أن اقتلع بابه ، ولقد استشهدت بعض فرق غلاة الشيعة على هذه الحادثة ، بحلول جزء إلَهى فى على ، وأنه استطاع أن يقتلع الحجر بالجزء اللاَهوتى(١) .

استشهاد على وبنيه : لقد كان للنهاية الحزينة لعلى وأبنائه أثر فى زيادة تعاطف الشيعة وتعلقهم فى حب على وآل بيته ، خاصة استشهاد ابنه الحسين ، إذ أن الكوفيين الذين جروا الحسين إلى الكارثة ثم تركوه وحده يصلاها ، شعروا بتأنيب الضمير على ما اقترفت أيديهم ، فشعروا بالحاجة إلى إرضاء الرب وبالكفارة عن إثمهم بالتضحية بأنفسهم ، فسموا أنفسهم « التوابين » وبدأوا أول مرة ينظمون أنفسهم ، وبعد مقتل الحسين تكونت منظمات شيعية قوية ، وانطلقت تحاول الانتقام للحسين ، وفى نفس الوقت تكفر عن تقاعسها عنه ، المهم أن ذلك المصير المؤلم الذى لاقاه على بن أبى طالب على يد «ابن ملجم » والذى لاقاه الحسين نتيجة لتخلى أهل الكوفة عنه ، وهو الذى أثار حماس الشيعة وازداد حبهم ومناصرتهم لعلى وبنيه ، إذ أنهم استشهدوا فى سبيل الحق ونصرته ، وكان استشهادهم نتيجة غدر الباطل (٢) .

لكل هذه العوامل وغيرها من العوامل ، تمسك الشيعة بعلى وفضلوه على سائر آل بيت النبوة وسائر الصحابة (٣) .

وإذا كان الشيعة يفضلون على ويقدمونه وأوردوا من النصوص التى تعسفوا فى تأويلها والأحاديث التى أكثرها موضوع ، مما يثبت النص على إمامة على بعد الرسول ، لكنهم اختلفوا حول ما تشير إليه هذه النصوص من حيث إنها هل تنص على إمامة على باسمه أم بوصفه ، وهل تنتقل الخلافة من بعده إلى أولاده من فاطمة أم تتعداها إلى أولاده من غير فاطمة ؟

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٢) فلهاوزن ، الخوارج والشيعة ص ١٣٧ .

(٣) ذكر الأستاذ الدكتور أحمد صبحى فى كتابه عن الزيدية عدة عوامل أخرى ، ص ٢٩ - ٤٩

ولقد تعددت فرق الشيعة بتعدد الإجابات على هذه الأسئلة ، فمنهم من رأى أن هذه النصوص تتناول عليا بالشخص والتعيين ، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده ، وهؤلاء هم الإمامية ، ويتبرأون من الشيخين أبو بكر وعمر ، حيث لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ، ولا يعترفون بإمامتهما .

ومنهم من يقول إن هذه الأدلة إنما اقتضت تعيين على بالوصف لا بالشخص ، والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه ، وهؤلاء هم الزيدية ، ولا يتبرأون من الشيخين ، ويعترفون بإمامتهما مع قولهم بأفضلية على ، وهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل .

ثم اختلفت الشيعة فى نقل الخلافة بعد على ، فمنهم من ساقها فى ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد وهؤلاء هم الإمامية ، وذلك لأنهم يشترطون معرفة الإمام وتعيينه وذلك أصل من أصول الإيمان .

ومنهم من ساقها فى ولد فاطمة ، لكن بالاختيار مع الشيوخ ، ويشترط أن يكون الإمام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا إلى إمامته وهم الزيدية .

ومنهم من ساقها بعد على وابنيه السبطين الحسن والحسين - على اختلافهم فى ذلك - إلى أخيهما محمد بن الحنفية ثم إلى ولده ، وهم الكيسانية [1] ، ولقد عدت فرقة الكيسانية من ضمن فرق الإمامية [2] .

وهناك فرقة أخرى كان لها خطرها الكبير لما أذاعته من عقائد فاسدة خارجة عن الإسلام ، وهى غلاة الشيعة .

وسنحاول أن نشرح هذه الاتجاهات الثلاث وما تضمه من فرق فيما بينها ، مركزين على الجوانب الكلامية بقدر الإمكان ، حيث إن هذا هو الذى يهمنا فى هذا المجال ، مع ملاحظة أن هذا الجانب كان قليلا عندهم حيث إن علم الكلام كان حينئذ فى دور النشأة والتكوين ، وأيضا حيث إنهم فرقة يغلب عليها الطابع السياسى :

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٧٦ - ١٧٧

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٩١ ، البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٧٨

أولا – غلاة الشـــيعة :

غالت فرقة فى تفضيلها لعلى،فلم تكتف بأفضليته على سائر الصحابة ، بل امتد تفضيله على النبى نفسه ، ولم يرق للبعض هذا التفضيل فحسب ، بل رفعوه من مقام البشر إلى مقام الألوهية ، ويذكر الأشعرى أن عددهم خمس عشرة فرقة .

ولقد قسم ابن حزم فرق الغلاة من الشيعة ، قسم أوجب النبوة بعد النبى ﷺ بغيره ، وقسم أوجب الألوهية لغير الله عز وجل .

فمن الفرق التى أوجبت النبوة بعد النبى ﷺ ، فرقة الغرابية وقولهم إن محمدا ﷺ كان أشبه بعلى من الغراب بالغراب ، وأن الله بعث جبريل عليه السلام بالوحى إلى على فغلط جبريل بمحمد ، ولا لوم على جبريل فى ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه(١) .

ولا يخفى ما فى هذا القول من كفر صريح ، ومنافاته للعقل والحس . فكيف يتسنى جواز الخطأ فيمن يرسله الله ، بل كيف تصل التعمية وعدم التمييز بين النبى وعلى وهما مختلفان فى صفاتهما الحسية ، وكيف يمتد الخطأ طوال بعثة النبى وحتى مماته ، وهم وإن أقروا بنبوة محمد إلا أنهم يثبتون شركة على فى النبوة ، وفى هذا كفر صريح ، والغرابية قد عدها « ابن الجوزى » طائفة من فرقة الجناحية أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين (٢) .

ومنهم فرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد ، وهو الذى أحرقه خالد ابن عبد الله القسرى بالنار ، وقد كان يقول : إن معبوده صورة رجل على رأسه تاج،وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء، الألف للساقين ونحو ذلك ، وكان يقول : إن معبوده لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الأكبر فوقع على تاجه ، ثم كتب باصبعه أعمال العباد من المعاصى والطاعات ، فلما رأى المعاصى أرفض به عرقا ، فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم ، والثانى نير

(١) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، جـ ٤ ص ١٨٣

(٢) ابن الجوزى ، تلبيس إبليس ، ص ٩٧

عذب ، ثم اطلع فى البحر ، فرأى ظله فذهب ليأخـــذه فطار فأخذه فقلع عينى ذلك الظل ، ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمسًا أخرى ، وخلق الكفار من البحر المالح ، وخلق المؤمنين من البحر العذب ، وقال أيضا بعدم اختلاف الأنبياء فى الشرائع [١] ، ولقد ذكر البغدادى رقة المغيرية من ضمن المشبهة الذين ضلوا فى تشبيه ذات الله تعالى بغيره [٢] .

ولا يخفى ما فى هذه الأقوال من خروج عن الإسلام ، وأن أصولها ترجع كما ذكر « فريدلفدر » إلى مزيج عجيب للديانات الشرقية القديمة ، ويدل فى جلاء أنه يتأثر بالغنوسطية وخاصة المائدية والمانوية ، وقد كان المانويون كثيرين فى العـراق ، ويقال إنه كان لهم زمن العبـاسيين أربعمائة معبد ، وكان رأسهم يقطن فى بغداد ، أما أتباع المانوية باستقرارهم فى العراق[٣] .

ويؤيد هذا القول ، إن فكرة الخلق التى قال بها المغيرة تشبه إلى حد كبير قول المجوس بالفكرة الردية التى حدث منها الشيطان ، وعلى هذا فحركة المغيرة تعد من أخطر الحركات على الحياة الإسلامية ، حيث أذاعت أفكارا غريبة عن الإسلام وأذاعتها وعملت على انتشارها .

ولقد زعم المغيرة أنه يستطيع أن يحيى الموتى بالاسم الأعظم ، وهو يعلم الاسم الأعظم ، واستعان على دعوته بالسحر ، ويذكر عنه الأشعرى قوله بالرجعة ، فزعم أن الأرض تنشق عن الموتى فيرجعون إلى الدنيا .

ويعد المغيرة من أوائل الذين فسروا كلمات القرآن تفسيرا خاصا ، بما يوافق رأيه وهواه ، وجعل كلمات القرآن تشير إلى الرجال كأبى بكر وعمر ، ولقد استغلت هذه الفكرة - فيما بعد - أسوأ استغلال عند غلاة الشيعة وغيرهم من المتطرفين ، ومن أمثلة ذلك قوله: «ثم أرسل محمدا إلى الناس كافة، وهو ظل ، ثم عرض على السموات والأرض أن يمنعن على بن أبى طالب

---

(١) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، ج ٤ ص ١٨٤ -١٨٥ .

(٢) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٦

(٣) نقلا عن كتاب حركات الشيعة المتطرفين ، د . محمد جابر عبد العال ، ص٣٩ .

رضوان الله عليه ، فأبين ، ثم على الأرض والجبال فأبين ، ثم على الناس كلهم ، فقام عمر بن الخطاب إلى أبى بكر فأمره أن يتحمل منعه ، وأن يغدر به ، ففعل ذلك أبو بكر ، وذلك قوله : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ** ﴾[1] . وقال عمر : أنا أعينك على علىٍّ لتجعل لى الخلافة من بعدك . وذلك قوله : ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ** ﴾[2] . والشيطان عنده عمر [3] .

ومنهم أيضا فرقة البيانية ، أصحاب بيان بن سمعان التميمى ، وهم يقولون إن الله عز وجل على صورة الإنسان ، وادعى « بيان » أنه يدعو الزهرة فتجيبه ، وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم ، وحكى عنهم أن كثيرا منهم يثبت لبيان بن سمعان النبوة [4] ، ولقد فسر « بيان » القرآن بما يوافق هواه ، فلقد ذكر بأن الله يهلك كله إلا وجهه ، مستدلا بقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾ [5] ، ولقد رد عليه ابن حزم مبينا خروج ذلك التفسير عن العقل ، إذ أن الله تعالى أخبر بالفناء عما فى الأرض فقط بنص قوله الصادق : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما على الأرض ، ووجه الله تعالى هو الله وليس هو شيئا غيره ، وحاشا لله أن يوصف بالتبعيض والتجزىء فهذه صفة المخلوقين المحدودين ، لا صفة من لا يحد ولا مثل له [6] .

ولقد قال « بيان » بحلول جزء إلَهى فى على وأن هذا الجزء الإلَهى قد انتقل إليه بنوع من التناسخ ، ولذلك استحق أن يكون إماما وخليفة [7] .

وعلى هذا فهو يقول بالتناسخ ، وبالتجسيد ، وهى أفكار غريبة عن الإسلام ، علاوة على استخدامه للسحر للتأثير على عامة الناس ، ولقد كان

(١) الأحزاب : ٧٢ . (٢) الحشر : ١٦ .
(٣) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٧٢ - ٧٣ .
(٤) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ ص ٦٧ . (٥) الرحمن: ٢٦ ، ٢٧ .
(٦) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل، جـ٤ ص١٨٥ .
(٧) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٠٤ .

السحر وسيلة لهؤلاء الأدعياء ، حتى يتمكنوا من التأثير على العامة والدهماء من الناس .

ومنهم فرقة قالت بنبوة أبو منصور العجلى ، ولقد قال أبو منصور إن آل محمد هم السماء ، والشيعة هم الأرض ، وأنه هو الكسف الساقط من بنى هاشم ، وزعم أنه عرج به إلى السماء فمسح معبوده رأسه بيده ، ثم قال له : أى بنى ، اذهب فبلغ عنى ، ثم نزل به إلى الأرض ، وزعم أن عيسى هو أول من خلق الله من خلقه ، ثم على ، وأن رسل الله سبحانه لا تنقطع أبدا ، وكفر بالجنة والنار ، واستحل النساء والمحارم ، وأحل ذلك لأصحابه ، وقال بأن الله لم يحرم ذلك علينا ، وأسقط الفرائض ، وقال هى أسماء رجال أوجب الله ولايتهم ، واستحل خنق المنافقين وأخذ أموالهم ، وقد قتله يوسف ابن عمر الثقفى والى العراق فى أيام بنى أمية (١) .

ومن هذا يتبين ادعاؤه النبوة ، وأن الرسل لا تنقطع ، ويبدو تأثره بالمسيحية ، واستحلاله للمحرمات التى حرمها الله ، واستحلال دماء الآخرين وأموالهم وخنقهم ، وألزم أصحابه خنق مخالفيهم وقتلهم خفية ، وأن القضاء على مخالفيهم فى العقيدة إنما هو من شعائردينهم ، ولقد قال النوبختى : « وكان يأمر أصحابه (أى أبو منصور) بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ، ويقول : من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفى » ولقد ذكر أيضا ابن حزم عن هشام بن الحكم الرافضى فى كتابه المعروف بالميزان ، وهو أعلم الناس بهم لأنه جارهم بالكوفة وجارهم فى المذهب ، أن الكسفية يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ، ويقولون نعجل بالمؤمن إلى الجنة والكافر إلى النار (٢) .

ولا شك أن هذه الوسيلة تثير الفزع والرعب فى قلوب الناس ، وتؤدى إلى قتل الناس بلا ذنب ولا جريرة ، ولقد آمن أتباعه بعقيدة الخنق إيمانا قويا

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٧٥ ، وابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، ص ٩٨ .

(٢) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، جـ ٤ ص ١٨٥ ، النوبختى ، فرق الشيعة ، ص ٣٥

وجعلوه عقيـــدة دينية وجهاد فى الدين ، وسـوف نجد عند الخوارج مثيلا لذلك .

أما القسم الثانى من الغلاة ، فهم الذين أوجبوا الألوهية لغير الله تعالى وسوف نذكر أمثلة لهؤلاء الغلاة :

فمن هؤلاء السبئية وهو قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى ، أتوا إلى على بن أبى طالب فقالوا مشافهة : أنت هو ، فقال لهم : ومن هو ، قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار : الآن صح عندنا أنه الله ، لأنه لا يعذب بالنار إلا الله (١) .

وكذلك كان إسحاق بن محمد النخعى الأحمر الكوفى ، يقول إن عليا هو الله ، وكان بالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه ، وقال الخطيب: وقع إلى كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة ، وكان النوبختى هذا من متكلمى الشيعة الإمامية ، فذكر أصناف مقالات الغلاة ، إلى أن قال : وقد كان ممن جرد الجنون فى الغلو فى عصرنا إسحاق بن محمـد المعروف بالأحمر كان يزعم أن عليا هو الله عز وجل ، وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين ، وهو الذى بعث محمد عليه السلام (٢) .

ولقد قالت طوائف كثيرة بألوهية إمامهم ، فعلى سبيل المثال نذكر طائفة تدعى النصرية ، وقالت بألوهية على ، لكنهم لعنوا فاطمة وأولادها ، وقالوا بأن « ابن ملجم » أفضل أهل الأرض لأنه خلص روح اللاَهوت مما كان يتشبث فيه ممن ظلم (٣) .

ومنهم الرزامية أتباع رزام ظهروا بخراسان أيام أبى مسلم ، حتى قيل إن

---

(١) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، جـ ٤ ص ١٨٧ - ٨٨١ .

(٢) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، ص ٩٧ .

(٣) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، جـ ٤ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

أبا مسلم على هذا المذهب ، لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبى مسلم ، وادعوا حلول روح الإله فيه ، وقالوا بتناسخ الأرواح ، والمقنع الذى ادعى الألوهية كان على هذا المذهب ، ولقد قالوا بترك الفرائض ، وقالوا : الدين أمران : معرفة الإمام وأداء الأمانة ، ومن حصل له الأمران حصل له الكمال وارتفع عنه التكليف (١) .

ومنهم الجناحية أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين ، ويزعمون أن عبد الله بن معاوية كان يدعى أن العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة والعشب ، وأن الأرواح تناسخت ، وأن روح الله جل اسمه كانت فى آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه ، وزعم أنه رب ، وأنه نبى فعبده شيعته ، وهم يكفرون بالقيامة ويدعون أن الدنيا لا تفنى ، ويستحلون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم ، وادعى أن من وصل إلى معرفة الإمام ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يطعم ووصل إلى الكمال (٢) .

وهذه نماذج من آراء غلاة الشيعة ، ظهر فيها بوضوح خروجهم عن الإسلام ، وتأثروا بأصحاب الديانات الأخرى من يهودية ومسيحية ، وأيضا وقعوا تحت تأثير الديانات الشرقية ، واستمدوا من تلك الآراء الخارجة عن الإسلام ، فكرة التجسد والتشبيه ، والحلول ، والرجعة ، والتأويل الباطنى للقرآن ، ولم يكتفوا بإفساد العقيدة بنظرياتهم الفاسدة ، بل لقد استحلوا ما حرمه الله ، وعطلوا بعض الأحكام ، ولقد كان ذيوع تلك الأفكار سببا فى قيام المتكلمين بالرد عليهم والدفاع عن العقيدة ، ولقد عد كتاب الفرق هؤلاء الغلاة خارجين عن الإسلام ، كما تبرأ منهم على بن أبى طالب وأبنائه من بعده ، وهم لم يكونوا فى الحقيقة مخلصين له ، فمنهم من أخرج الإمامة من بنى هاشم وادعى الأمر لنفسه ، وهم عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى ، وبيان بن سمعان ، والمغيرة بن سعيد وغير هؤلاء (٣) .

* * *

(١) الشهر ستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٦٧ ، والشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٣) الأشعرى، مقالات الإسلاميين، جـ١ ص ٧٩ .

ثانيا – الإمامية (الرافضة) :

هذا لفريق يمثل أكبر نسبة عددية بين الشيعة ، فيذكر الأشعرى أن عددها أربع وعشرون فرقة ، وإن ذكر غيره كالبغدادى عددا آخر وهو خمس عشرة فرقة ، وترجع زيادة العدد عند الأشعرى إلى أنه كان يضم فرقة الكيسانية إلى الإمامية ، والكيسانية كانت تضم إحدى عشرة فرقة . وهم قد سموا إمامية لقولهم بالنص على إمامة على بن أبى طالب وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر (١) .

والإمامية تجمع على أن النبى ﷺ نص على استخلاف على باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء بعد وفاة النبى ، والإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وإنها قرابة ، وأنه جائز للإمام فى حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميعا الاجتهاد فى الأحكام ، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ، وزعموا أن عليا كان مصيبا فى جميع أحواله ، وأنه لم يخطىء فى شىء من أمور الدين،إلا فرقة « الكاملية » فإنها أكفرت الناس فى ترك على وأكفرت علياً بترك الطلب (٢) .

ويزيد الاسفراينى على مجمل اعتقاداتهم التى ذكرها الأشعرى ، قولهم بأنه قد وقع فى القرآن زيادة ونقص ، من قبل الصحابة ، فلقد نص فيه على إمامة على فأسقطه الصحابة ، وزعموا أنه لا اعتماد الآن على القرآن ولا على الأخبار المروية عن النبى ﷺ ، ولا على الشريعة التى فى أيدى المسلمين ، وينتظرون ما يسمونه المهدى يخرج ويعلمهم الشريعة (٣) .

ويضيف الشهرستانى أنه يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل واحد ، وحملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ،

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٨٨ - ٩١ والبغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٣ - ٧١ ، والرازى ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٧٧ ، والاسفراينى، التبصير،ص٢٠ . (٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٨٩ .

(٣) لأسفراينى التبصير ، ص ٢٤ ، وابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، جـ٤ ص١٨٢ .

أيضا أدى ذلك إلى ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل ، أى إسقاط التكاليف بعد الوصول إلى معرفة الإمام، ويذكر أن رأيهم فى الأصول كان مختلفا فلم يجمعوا على رأى واحد،بل صارت كل فرقة تتبع رأيا خاصا ، فمنهم من كان يتبع رأى المعتزلة ومنهم من يتبع الوعيدية ومنهم من يتبع المشبهة ومنهم من يتبع السلفية ، فلم يكن لهم رأى واحد فى الأصول [1] ، وسوف نذكر نماذج من فرقهم :

١ - الكيسانية :

هم أتباع مختار بن أبى عبيد الثقفى ، وكان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا ، وسموا كيسانية لأن « المختار » الذى خرج وطالب بدم الحسين بن على ، ودعا إلى « محمد بن الحنفية » كان يقال له كيسان ، ويقال إنه مولى لعلى بن أبى طالب ، ويجمعهم القول بإمامة محمد بن الحنفية ، وإن اختلفوا فى سبب إمامته ، فمنهم من قال : سبب امامته أن على بن أبى طالب دفع إليه الراية يوم الجمل ، ومنهم من قال : سبب إمامته أن الإمامة كانت لعلى ثم للحسن ثم للحسين وقد أوصى بها الحسين لأخيه محمد بن الحنفية .

ويجمعهم القول بتجويز البداء على الله تعالى ، والبداء له معان ، البداء فى العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبداء فى الإرادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد ، والبداء فى الأمر ، وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ، ولقد قال المختار بالبداء ، وسبب قوله إنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بشىء وحدوث حادثة ، فإن وافق ذلك إدعائه جعل ذلك دليلا على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : لقد بدا لربكم ، ولقد حدث أن وعد المختار أصحابه بالنصر على أعدائهم ، ولكنهم هزموا أمام الجيش الذى بعثه مصعب بن الزبير لقتالهم ، فقال له أصحابه : أين الظفر الذى قد وعدتنا به ؟ فأجاب المختار « هكذا وعدنى الله ثم بدا له ، فإنه تعالى

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٩٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

قال : ﴿ يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (١) . والمختار هنا يخلط بين البداء والنسخ ، والآية التى ذكرها تفيد النسخ ولا تفيد أبدا البداء .

ولقد ادعى المختار النبوة عند خواصه من الأصحاب ، فيذكر البغدادى أن السبئية قد خدعت المختار فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ، وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه ، وزعم أن الوحى ينزل عليه ، ونظم فى ذلك قولا مسجوعا ، ولقد أورد البغدادى الكثير من أسجاعه (٢) .

ولكن هذه الأقوال والضلالات والتأويلات الفاسدة وادعاء النبوة تبرأ منه محمد بن الحنفية .

ولقد افترقت الكيسانية إلى فرق ، وافتراقها كان حول أسباب تفصيل محمد بن الحنفية والأئمة من بعده ، ومنهم « الكربية » أصحاب أبى كرب الضرير الذين غالوا فى محمد بن الحنفية ، وقالوا إنه حى بجبل رضوى ، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه ، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه ، وزعموا أن السبب الذى من أجله صبر على هذه الحال - أن يكون مغيبًا عن الخلق - أن الله تعالى فيه تدبيرا لا يعلمه غيره ، بينما تقول فرقة أخرى منهم: إنما جعل بجبال رضوى عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان ، وبيعته إياه .

٢ - الكاملية :

وهم أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبى كامل ، وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على ، وكفر على بتركه قتالهم ، وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين والجمل ، ولقد كان بشار بن برد على هذا المذهب ، وزاد عليه أنه كان يقول بالرجعة قبل يوم القيامة ، وأن ابليس كان مصيبا فى تفضيله النار على الأرض (٣) .

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٩١ ، الأسفراينى ، التبصير ، ص ١٨ - ٢٠ ، البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٣٨ والشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٩٧ - والآية من سورة الرعد : ٣٩

(٢) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٤٦

(٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٤ ، والأسفراينى ، التبصير . ص ٢١

٣ - الباقرية :

وهؤلاء قوم ساقوا الإمامة من علىّ بن أبى طالب فى أولاده إلى محمد ابن على المعروف بالباقر ، وقالوا إن عليا نص على إمامة ابنه الحسن ، ونص الحسن على إمامة أخيه الحسين ، ونص الحسين على إمامة ابنه على بن الحسين زين العابدين ، ونص زين العابدين على إمامة محمد بن على المعروف بالباقر، وقد زعموا أنه حى لم يمت لكنه غائب ، وأنه المهدى المنتظر (١) .

٤ - الناووسية :

وهم أتباع رجل من أهل البصرة ينسب إلى ناووس بها ، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه ، وزعموا أنه المهدى المنتظر ، وزعم قوم أن الذى كان يتبدى للناس لم يكن جعفرا ، وإنما تصور للناس فى تلك الصورة ، ولقد ذكر البغدادى انضمام قوم من السبئية إلى هذه الفرقة ، وزعموا جميعا ، أن جعفرا كان عالما بجميع معالم الدين من العقليات والشرعيات ، ويعلم كل ما يحتاج إلى علمه من دين أو دنيا ، وهم يقلدونه فى الدين ، حتى لو سئل واحد منهم عن جواز الرؤية على الله تعالى ، وعن نفى خلق القرآن أو عن إثبات الصفـات ، أو غير ذلك ، لكان جوابه أن يقول: إنا نقول فيه بقول جعفر ولا ندرى ما قول جعفر فيه ، وهم يتفقون فى تكفير أبى بكر وعمر (٢) .

٥ - الهشامية :

وهم فريقان ، أصحاب هشام بن الحكم الرافضى ، وأصحـاب هشام ابن سالم الجواليقى ، والفريقان يقولان بالتشبيه والتجسيم ،وإثبات الحد والنهاية ، حتى قال هشام بن الحكم : إن معبوده نور يتلألأ كقطعة من السبيكة الصافية ، أو كلؤلؤة بيضاء ، والجواليقى يقول بالصورة وإثبات اللحم والدم واليد وسائر الأعضاء (٣) .

---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٩ . (٢) الأسفرايني،التبصير،ص ٢٢ .
(٣) الأسفرايني ، التبصير ، ص ٢٤ .

وسندكر الآن بعض الآراء الكلامية لفرقة الروافض :

● **الآراء الكلامية للروافض :**

(أ) **موقفهم من التجسيم والتشبيه** : لقد اختلف الروافض فى ذلك على ست فرق :

الفرقة الأولى : أصحـــاب هشـام بن الحكم ، يزعمون أن معبودهم جسم ، وله نهاية وحد ، طويل عريض عميق ، طوله مثل عرضه ،على سبيل المجاز وليس على التحقيق ، نور ساطع ، له قدر من الأقدار ، فى مكان دون مكان ، كالسبيكة الصافية ، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ، ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ورائحته هى مجسته ، وأنه قد كان لا فى مكان ، ثم حدث المكان بأن تحرك البارىء فحدث المكان بحركته فكان ، وزعم أن المكان هو العرش ، وذكر أبو الهـذيل أن هشام بن الحكم قال : إن ربه جسم ذاهبا جائيا ، فيتحرك تارة ، ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ، ويقوم أخرى ، وإن جبل أبى قبيس يوفى عليه - أى هو أعظم منه - وذكر ابن الراوندى أن هشام بن الحكم كان يقول : إن بين إلَهه وبين الأجسام تشابها من جهة من الجهاتِ ، ولولا ذلك ما دلت عليه ، وذكر أيضا عن هشام بن الحكم قوله : إن معبوده سبعة أشبار بشبر نفســه ، ثم رجع عن ذلك القول ، وقال : هو جسم لا كالأجسام .

الفرقة الثانية : تقول إن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام ، وإنما يعنون بقولهم إنه جسم إنه موجود ، وهو تعالى مستو على العرش بلا مماسة ولا كيف .

الفرقة الثالثة : تقول إن ربهم على صورة إنسان لكنه ليس جسما .

الفرقة الرابعة : أصحاب هشام الجواليقى ، يقولون إن ربهم على صورة إنسان ، وينكرون أن يكون لحما ودما [خلاف رواية الاسفراينى عنهم] ويقولون هو نور ساطع ، وأنه ذو حواس خمسة كالإنسان متغايرة .

الفرقة الخامسة : تقول بأن الله ضياء خالص ونور بحت وليس بذى صورة ولا أعضاء .

الفرقة السادسة : تقول إن ربهم ليس بجسم ، ولا بصورة ، ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس [١] .

وهذه الفرق الست فيما عدا الهشامية أصحاب هشام بن الحكم وهشام الجواليقى ، لا تثبت الجسمية بمعناها الحقيقى من الحد والنهاية والصفات الأخرى للأجسام ، أما الهشامية فقد أثبتت صفات الأجسام ، كما جاء فى رواية الأشعرى عنهم ، لكن أبا المعين النسفى يذكر أن معنى الجسم عند هشام ابن الحكم هو الموجود ، إذ لا موجود عنده فى الشاهد والغائب إلا الجسم ، وروى عنه أنه قال : إن الجسم هو القائم بالذات ، ولهذا زعم أن الله جسم ، لما أنه موجود على الحد الأول ، ولما أنه قائم بالذات على الحد الثانى [٢] ويفهم من كلام أبو المعين أنه ينفى القول بالجسمية بمعنى الحد والنهاية عن هشام بن الحكم ، لكن رواية الأشعرى التى تثبتها يؤكدها الكثير من كتاب الفرق ، فيذكر ابن تيمية أن القول بأن الله جسم له طول وعرض وعمق أول من قال بذلك هو هشام بن الحكم وهشام بن سالم ، وهذا ما اتفق عليه نقل الناقلين فى الملل والنحل من جميع الطوائف [٣] .

وربما يكون أبو المعين قد خلط بين قول الهشامية وغيرهم من الروافض ، الذين لا يثبتون معنى الجسمية ، أو يكون قد نقل عن المتأخرين من الروافض ، وعلى كل فلقد كان القول بالجسمية عند أوائل الرافضة أما المتأخرين منهم فلقد نفوا معنى التجسيم والتشبيه عن الله تعالى[٤] .

وهذه الأقوال التى تحقق معنى التجسيم أو التشبيه ، كانت نتيجه للتيارات الأجنبية ، مثل الديانات الشرقية القديمة ، أو كانت نتيجة للتأثير الرواقى [٥] .

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٠٦ - ١٠٩ والبغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٦٥ - ٦٧

(٢) أبو المعين النسفى ، تبصرة الأدلة ، ص ٢٨

(٣) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، جـ ١ ص ٢٣٨

(٤) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٠٩

(٥) د . عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، ص ١٤٠

ولقد قاوم المتكلمون من كافة الاتجاهات القول بالجسمية ، وعارضوا نزعات التشبيه ، واعتمدوا فى ردودهم على القول بان معنى الجسمية منفى عن الله تعالى ، إذ تعنى الحد والنهاية وأنه مؤلف ومركب وغير ذلك من معانى الجسمية ، التى لا تليق فى حق الله تعالى ، ولقد كان المعتزلة من أوائل من قاوم هذه النزعات ، فيذكر الخياط ردهم على الرافضة القائلين بالتجسيم سواء على معنى تحقيق الجسمية ، أو على معنى أنه جسم لا كالأجسام ، ويقول بأنه كيف يجوز للرافضة القول بأن الله عز وجل لا يشبه الأجسام فى معانيها ولا فى أنفسها ، مع القول بأنه يتحرك ويسكن ، ويدنو ويبعد ، وأنه ذو صورة وقدر وهيئة (١) .

(ب) قولهم فى صفات الله : اختلفت الروافض فى القول بأن الله عالم حى قادر سميع بصير إلى تسع فرق :

الأولى : الزرارية أصحاب زرارة بن أعين الرافضى : يزعمون أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم بصير حتى خلق ذلك لنفسه ، أى أنهم يقولون بحدوث صفاته تعالى .

الثانية : السبابية: أصحاب عبد الرحمن بن سبابه يقفون ، ويزعمون أن القول فيها ما قاله جعفر .

الثالثة : تزعم أن الله لا يوصف بأنه لم يزل إلهًا قادرا ولا سميعا ولا بصيرا حتى يحدث الأشياء ، لأن الأشياء قبل أن تكون ليست بشىء ،ولا يجوز وصفه تعالى بالقدرة على لا شىء .

الرابعة : تقول بحدوث الصفات ، فالله لم يزل لا حيا حتى صار حيا .

الخامسة : أصحاب شيطان الطلق يزعمون أن الله عالم فى نفسه ليس بجاهل ، ولكنه يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ، فأما قبل أن يقدرها ويريدها فمحال أن يعلمها ، لا لأنه ليس بعالم ولكن الشىء لا يكون شيئا حتى يقدره ويثبته بالتقدير ، والتقدير عندهم هو الإرادة .

(١) الخياط ، الانتصار ، ص ١٠٧

السادسة : أصحاب هشام بن الحكم ، قال : محال القول إن الله لم يزل عالما بالأشياء ، وزعم أنه علم الأشياء بعد أن لم يكن عالما بالأشياء ، وقال : لا يقال لعلمه أنه قديم ولا محدث ، لأنه صفة ، والصفة لا توصف ، وكذلك القول فى قدرة الله وسمعه وبصره وحياته وإرادته ، إنها قديمة ولا محدثة ، ولقد قال إن الصفات لا هى الله ولا غير الله ، وأنه لا يقال عن الصفات إنها قديمة أو محدثة ، إلا أنه يفهم من قوله حدوث الصفات ، حيث إنه قال فى تعليل موقفه هذا : إن القول بأزليـة العلم يؤدى إلى أزلية المعلومات ، لأنه لا يصح عالم إلا بمعلوم موجود ، وهو هنا أيضا يحيل علم الله بالمعدوم ، وكذلك قوله : إنه لو كان عالما بما يفعله عباده قبل وقوع الأفعال منهم لم يصح اختيار العباد وتكليفهم ، وهو هنا يربط بين القول بأزلية العلم الإلَهى وبين الجبر ، فكأن سبق العلم الإلَهى يؤدى إلى الجبر .

السابعة : لا يزعمون أن البارىء عالم فى نفسه ، ويزعمون أن الله لا يعلم الشىء حتى يؤثر أثره ، والتأثير هو الإرادة عندهم ، فإذا أراد الشىء علمه ، واذا لم يرده لم يعلمه ، ومعنى أراد عندهم أن تحرك حركة هى إرادة ، فإذا تحرك علم الشىء .

الثامنة : قولهم إن معنى أن الله يعلم أنه يفعل .

التاسعة : يزعمون أن الله لم يزل عالما حيا وقادرا (١) .

ويمكننا أن نستخلص من هذه الأقوال ما يلى :

١ - أن الرافضة ما عدا الفرقة التاسعة التى ذكرناها تقول بحدوث الصفـات . سـواء أطلقت لفظ الحـدوث أو منعت إطلاقه كما قال هشـام إبن الحكم .

٢ - إن قولهم بحدوث العلم الإلَهى يعنى أنه علم محدث محدود ومتغير وهذا ما أخذه عليهم الخياط المعتزلى (٢) .

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١١٠ - ١١٣

(٢) الخياط ، الانتصار ، ص ١٠٧

٣ - أن علمه تعالى علما انفعاليا تابع للمعلومات ويستقى منها العلم فهو مشابه للعلم الإنسانى ، الذى يقتضى فيه أن توجد المعلومات أولا ، ثم يستقى منها العلم ثانيا ، وفى هذا تشبيه العلم الإلَهى بالإنسانى ، ويعكس أيضا موقفهم من التشبيه .

٤ - خلطهم بين العلم والإرادة والقدرة ، ولقد فرق الشهرستانى بين العلم والإرادة والقدرة ، فالعلم هو ما يحصل به الإحكام والإتقان ، والإرادة ما يحصل بها التخصيص ، والقدرة ما يحصل بها الإيجاد ، والإرادة مستقلة عن العلم من شأنها التخصيص ، وخلاف القدرة التى توقع المقدور ولا تخصص ، وخلاف العلم الذى يتبع الواقع ولا يوقع ، والعلم يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل ، والقدرة لا تتعلق إلا بالممكن ، والإرادة لا تتعلق إلا بالمتجدد من الممكنات ، فالعلم أعم مطلقًا ، والقدرة أخص من العلم ، والإرادة أخص من القدرة والعلم (١) .

٥ - يمكن الربط بين قولهم فى الإرادة وموقفهم فى التجسيم والتشبيه ، حيث إنهم قالوا إنها حركة ، وأن الله إذا أراد الشىء تحرك فكان ما أراد ، ومنهم من قال إنها ليست غير الله ، ومنهم من قال غير الله وبها يتحرك ، وفى هذا القول معنى جواز الحركة عليه تعالى ، ولعل الأشعرى قد لاحظ ذلك عندما ذكر قول الفرقة التاسعة ، الذين يقولون إن الله لم يزل عالما حيا قادرا أعقبه بقوله : إن هؤلاء يميلون إلى نفى التشبيه ولا يقولون بحدوث العلم ولا بالتجسيم والتشبيه ، وهم يقولون بأن إرادة الله ليست بحركة (٢) .

٦ - لقد كان لنزعة التجسيم والتشبيه عند بعض فرق الروافض أثره فى تصور صفات الله تعالى ، فنجد أنهم قاسوا الغائب على الشاهد ، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا من التصور الحسى ، ولقد اتضح ذلك فيما ذكرنا من أمثلة : ويمكننا أن نضيف إلى ذلك موقفهم من جواز البداء على الله تعالى ، فلقد افترقوا فى القول بذلك ثلاث فرق، فرقة قالت بأن الله تبدو له البداوات ،

---

(١) الشهرستانى ، نهاية الإقدام ، ص ٢٤٠ - ٢٤٩ .

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ص ١١٥ .

وأنه يريد أن يفعل الشيء فى وقت من الأوقات ثم لا يحدثه لما يحدث له من البداء ، وأنه إذا أمر بشريعة ثم نسخها فإنما ذلك لأنه بدا له فيها ، وقالت فرقة أخرى : إنه جائز البداء على الله فيما علم أنه يكون حتى لا يكون ، وأخرى قالت : إنه لا يجوز على الله البداء (١) .

ولا شك أن معنى البداء يكون فيمن علمه ناقص ويجهل العاقبة ويكون علمه تابعه للمعلوم ، وهذه المعانى منفية عن الله تعالى .

٧ ـ يمكن القول بأن هشام بن الحكم كان أسبق من الأشاعرة والماتريدية فى القول بأن الصفات لا هى الله ولا هى غير الله .

(جـ) قولهم فى خلق أفعال العباد : اختلف الرافضة فى ذلك إلى ثلاث فرق : الفرقة الأولى: فرقة هشام بن الحكم يقولون إن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى ، وحكى جعفر بن حرب عن هشام بن الحكم أنه يقول : إن أفعال الإنسان اختيار له من وجه ،اضطرار من وجه ، اختيار من جهة أنه أرادها واكتسبها ، واضطرار من جهة أنها لا تكون منه إلا عند حدوث السبب المهيج عليها ، ولقد لاحظ « مونتجمرى » أن هشام بن الحكم أسبق من الأشعرى فى القول بالكسب والتوسط بين المعتزلة والمجبرة .

والفرقة الثانية : توقفوا فى القول هل هى مخلوقة أم لا ؟ وقالوا إنه لا جبر كما قال الجهمى ولا تفويض كما قالت المعتزلة ، وهم يقولون بهذا لأن الأئمة لم يرد عنهم قول فى هذه المسألة ، ولا يبعد موقف هذه الفرقة عن الفرقة الأولى .

والفرقة الثالثة : تقول بأن أعمال العباد غير مخلوقة لله ، وهى الفرقة التى تجمع بين الاعتزال والإمامة .

هذا بالنسبة للأفعال المباشرة ، أما بالنسبة للأفعال المتولدة ، فلقد انقسموا إلى فرقتين ، فرقة تقول بأن الفاعل لا يفعل فى غيره فعلا ، ولا يفعل إلا فى نفسه ، ولا يثبتون الإنسان فاعلا لما يتولد عن فعله ، وهو موقف متكلمى أهل السنة .

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١١٣ .

والفرقة الثانية : تقول بقول المعتزلة ، فيزعمون أن الفاعل منا يحدث الفعل فى غيره ، وأن ما يتولد عن فعله كالألم المتولد عن الضربة ، فعل لمن تولد ذلك عن فعله .

وعلى هذا يمكن القول بأن الرافضة يقولون بقدرة الإنسان على أفعاله ، وهم مفترقون فى القول بذلك على طريقة أهل السنة ، وطريقة المعتزلة ، لكنهم ينفون الجبر .

ولقد اختلفوا فى طبيعة الاستطاعة ، فقال هشام بن الحكم : إن الاستطاعة خمسة أشياء هى : الصحة وتخلية الشئون والمدة فى الوقت والآلة التى بها يكون الفعل ، والسبب المهيج الذى من أجله يكون الفعل : فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان الفعل واقعا ، وقال بأن من الاستطاعة ما هو قبل الفعل ، ويبدو أنه يشير إلى استطاعة الأسباب ، ومنها ما لا يوجد إلا فعل حال الفعل ، وهذا إشارة إلى استطاعة الأفعال ، وهناك فرقة أخرى من الرافضة يقولون بأن الاستطاعة هى الصحة وبها يستطيع المستطيع ، فكل صحيح مستطيع وهى قبل الفعل ، وهذه الفرقة فيما يبدو لا تقول إلا بنوع واحد من الاستطاعة هو استطاعة الأسباب[1] .

(د) **قولهم فى الإيمان والوعيد** : اختلفت الروافض فى الايمان إلى ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : وهم جمهور الرافضة يقولون بأن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله والإمام ، وبجميع ما جاء من عندهم ، فأما المعرفة بذلك فضرورة عندهم ، فإذا أقر وعرف فهو مؤمن مسلم ، وإذا أقر ولم يعرف فهو مسلم وليس بمؤمن ، ويبدو فى أقوال هذه الفرقة أهمية المعرفة فى الإيمان ، وتفرقتهم بين الإيمان والإسلام ، وجعلهم معرفة الإمام ركن من أركان الإيمان .

وقال قوم من متأخريهم : إن الإيمان هو جميع الطاعات ، وإن الكفر

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١١٤ - ١١٧ وأيضا :
Montgomery ; Free Will , p . 118 .

جميع المعاصى ، ويثبتون الوعيد ، ويزعمون أن المتأولين الذين خالفوا الحق بتأويلهم كفار ، ويبدو فى قول هذه الفرقة جعل العمل من الإيمان ، ويمكن القول بأن موقفهم قريب من موقف الخـوارج فى جعلهم الكفر فى إتيان المعاصى ، وهو معارض لقول أهل السنة الذين لا يقولون بكفر العاصى .

والفرقة الثالثة منهم : يزعمون أن الإيمان اسم للمعرفة والإقرار ولسائر الطاعات ، فمن جاء بذلك كله كان مستكمل الإيمان ، ومن ترك شيئا مما افترض الله عليه غير جاحد له فليس بمؤمن ، ولكن يسمى فاسقا ، وهو من أهل الملة ، ولا يكفرون المتأولين ، وهذه الفرقة تبدو أقل تشددا من سابقتها ، فهى رغم جعلها العمل ركنا من أركان الإيمان ، إلا أنها لا تكفر العصاة ، وأيضا لا يكفرون المتأولين ولو خالفوهم ، وجعل العاصى فاسقا وهو ما قال به غالبية الأمة .

واختلفوا فى الوعيد ، فمنهم من يثبت الوعيد على مخالفيهم ، ولا يثبتون الوعيد فيمن قال بقولهم ، ويقولون : إن الله سبحانه يدخلهم الجنة ، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها ، وقالوا بشفاعة أئمتهم ، وهى عندهم أهم من شفاعة النبى .

ومنهم من يذهب إلى إثبات الوعيد ، وأن الله عز وجل يعذب كل مرتكب للكبائر سواء أكانوا منهم أو من مخالفيهم ، ويخلدهم فى النار ، وهذا القول يتفق مع قول الخوارج والمعتزلة ومخالف لموقف أهل السنة على ما سنعرف بعد [1] .

(هـ) **قولهم فى الإمامة** : لقد أعلى الرافضة من شأن الإمام وجعلوا الإمامة ركنا من أركان الدين ، ولقد جعلت فرقة منهم أن معرفة الأئمة واجبة وأن من جهل الإمام فقد مات ميتة جاهلية .

وفرقة منهم قالت : إن معرفة الإمام إذا أدركها الإنسان لم تلزمه الشريعة

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ لمراجعة أقوال الروافض .

ولم تجب عليه فريضة ، وإنما على الناس أن يعرفوا الأئمة فقط فإذا عرفوهم فلا شيء عليهم .

وفرقة قالت : إنه قد يسع الجهل بالأئمة ، لكن هؤلاء الذين يجهلون الأئمة ليسوا بمؤمنين ولا كافرين .

ولقد حاولت فرق منهم أن تساوى بين الأئمة والرسل ، فقالوا إن الأئمة تظهر عليهم المعجزات كما تظهر على الرسل ، لأنهم حجج الله سبحانه ، كما أن الرسل حجج الله ، لكنهم لا يجيزون هبوط الملائكة بالوحى على الأئمة ، لكن فرقة منهم أجازت هبوط الوحى عليهم ، لكنهم لا يجيزون لهم تبديل الشرائع ونسخها ، فى حين قالت فرقة أخرى بجواز نسخهم للشرائع وتغييرها وتبديلها ، لكن هناك فرقة قد منعت ظهور المعجزات على الأئمة أو نزول الوحى عليهم وجـواز أن ينسخ الله سبحانه الشريعة على لسانهم ، بل هم يحفظون شرائع الرسل ويقومون بها ، ويبدو فى رأى هذه الفرقة أنها أقل الفرق غلوا ، وفرقت بين الأئمة والأنبياء .

ولقد اختلفوا فى القول بجواز أفضلية الأئمة على الأنبياء ، فقال قوم إنهم أفضل من الأنبياء والملائكة ، وفضلهم قوم على الملائكة دون الأنبياء ، وقال منهم بأفضلية الملائكة والأنبياء على الأئمة .

وفى جواز المعصية على الإمام ، منهم من يرى أنه لا يجوز المعصية على الإمام وهم معصومون وأجازوا المعصية على الرسول ، لأن الرسول إذا عصى فالوحى يأتيه من قبل الله ليصحح له الخطأ الذى وقع فيه ، أما الأئمة فلا ينزل عليهم الوحى ، لذا فهم معصومون ، وقالت فرقة أخرى لا يجوز للرسول ولا للأئمة المعصية لأنهم جميعا حجج الله وهم معصومون من الذلل .

ولقد أعلوا من مرتبة علم الإمام ، فزعمت فرقة منهم أن الإمام يعلم كل ما كان وكل ما يكون ، ولا يخرج شيء عن علمه من أمر الدين ولا من أمر الدنيا ، ولا شك أن هذا القول مغال فيه ، بل إن فيه معنى مساواة علم الله تعالى بعلم الإمام ، إذ أنه لا يعلم المستقبل إلا الله .

وهناك فرقة أخرى كانت أقل غلوا فى علم الإمام ، فقالت بأنه يعلم كل أمور الأحكام والشريعة ، وإن لم يحط بكل شيء علما ، وأنه يعلم كل ما

يحتاجه الناس من الشرائع ، أما ما لا يحتاجه الناس فقد يجوز أن لا يعلمه الإمام .

ولقد أجمعت الروافض على تصويب على فى حربه من حارب ، وتخطئة من حارب علياً ، واختلفوا فى الحكم على من حارب على ، فمنهم من قال بكفره ، ومنهم من قال إنه فاسق وليس بكافر (١) .

(و) **قولهم فى الرجعة** : ولقد اختلفت الروافض فى رجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، وهما فرقتان :

الفرقة الأولى منهم : يزعمون أن الأموات يرجعون إلى الدنيا قبل يوم الحساب ، وهذا قول الأكثر منهم ، وكما أحيا الله قوما من بنى اسرائيل بعد الموت ، فكذلك يحيى الأموات فى هذه الأمة ، ويردهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة .

والفرقة الثانية ، وهم أهل الغلو : ينكرون القيامة والآخرة ، ويقولون ليس قيامة ، ولا آخرة ، وإنما هى أرواح تتناسخ فى الصور ، فمن كان محسنا جوزى بأن تنتقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم ، ومن كان مسيئا جوزى : بأن تنتقل روحه إلى أجساد يلحق فيها الضرر والألم ، وليس شىء غير ذلك ، وأن الدنيا لا تزال هكذا أبـدا ، وفى هذا القول إنكار للآخرة وللثواب والعقاب (٢) .

وهذه بعض نماذج لآراء الرافضة الكلامية ، ولقد رأينا فيها أثر بعض الآراء الأجنبية عن الفكر الإسلامى ، والتى قال بها البعض ، وهى تعد مخالفة لما جاء به الدين ، خاصة تيارات التجسيم والتشبيه والقول بالتناسخ وإنكار القيامة والغلو فى مرتبة الأئمة وإلحاقهم بالرسل وجعل الإيمان بهم ركن من أركان الدين ، وسب الصحابة والحكم بكفرهم أو فسقهم ، والقول بالزيادة أو النقصان فى القرآن ، والتأويل الفاسد للقرآن ، وجواز البداء على الله تعالى ،

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٢٠ - ١٢٩ .

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١١٩ .

علاوة على مخالفتهم فى الأحكام الفقهية واستحلال الحرام وتحريم الحلال ، هذه الأفكار التى ذاعت عند بعض فرق الروافض والإمامية ، جعلت فريق أهل السنة يقفون منهم موقف المعارضة والاتهام عن الدين ، فلقد ذكر الملطى عن أتباع هشام بن الحكم بأنهم ملحدون ، لأن هشام بن الحكم كان ملحداً ودهرياً ثم انتقل إلى الثنوية والمنانية ثم غلبه الإسلام فدخل فيه كارها ، فكان قوله فى الإسلام بالتشبيه والرفض (١) وأيضا ذكر ابن الجوزى أن الرافضة قصدهم الطعن فى أصل الدين والنبوة ، وأنهم تستروا وراء حب أهل البيت (٢) .

* * *

ثالثا - الزيدية :

عرضنا لتيارين من تيارات الشيعة الذين غالوا فى على والأئمة من بعده ، وأدى بهم هذا الغلو إلى سب الصحابة والحكم بكفر من بايع أبو بكر وعمر وعثمان ، وهذا أدى إلى ظهور العداوة والانقسام فى المجتمع ، حيث إن أية دعوة تحكم بالكفر على المجتمع تؤدى إلى تلك النتائج السيئة ، وإلى تعميق الخلافات ، لقد كان قيام الشيعة نتيجة لإحساسهم بالظلم الذى وقع على على ، فأوقعوا هم الظلم بالمجتمع والدين ، ووسط هذه الخلافات حول مسألة الخلافة وأحقية على فيها ، ظهر تيار جديد حاول أن يتلافى كل العيوب والأخطاء التى وقع فيها هؤلاء ، وحاولوا أن يلموا شمل الجماعة ، وأن يقولوا قولا وسطا فى مسألة الخلافة ، يبقى على أحقية على فيها ، لكنه لا يحكم بكفر غيره من الصحابة ولا بكفر من بايعهم ، فخرج زيد بن على بن الحسين والتف حوله الأتباع وبويع له بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك ، وكان قد بايعه خمسة آلاف من أهل الكوفة فأخذ يقاتل بهم يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك ، فلما اشتد بهم القتال قال الذين بايعوه : ما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فقال زيد : أثنى عليهما جدى على ، وقال فيهما حسنا ، وإنما خروجى على بنى أمية فإنهم قاتلوا جدى عليّا ، وقتلوا جدى حسينًا ،

---

(١) الملطى ، التنبيه والرد ، ص ١٩ .

(٢) ابن الجوزى ، تلبيس إبليس ، ص ٩٨ .

فخرجوا عليه ورفضوه فسموا رافضة لذلك السبب ، وهجروه كلهم ، ولم يبق معه إلا مائتى رجل ، فأتى القتل عليهم جميعا ، وقتل زيد وهرب ابنه يحيى ابن زيد إلى خراسان وبويع له بالإمامة (١) .

والدعوة التى قام بها زيد وأعلنها ، تتلخص فى قوله بجواز امامة المفضول مع وجود الفاضل ، وهذا يعنى صحة خلافة أبى بكر وعمر وإن لم يكونا أفضل من على ، وعدم تكفيرهما ، أو تكفير من بايعهما ، وقامت دعوته على ضرورة خروج الإمام وإشهار دعوته بالسيف (٢) ، والواقع أن هذا المبدأ كان فى مقابل سكون الروافض وتعلقهم بفكرة المهدى المنتظر ، وإيثارهم السكون انتظارًا لخروج مهديهم الذى سيخرج بالسيف فى يوم من الأيام ، وهو أيضا يعنى إنكار التقية .

وتميزت دعوة زيد بالمذهب العقلى وانفتاحه على تيارات الفكر ، وعدم انغلاقه وتعصبه ، فلقد تتلمذ على يد واصل بن عطاء المعتزلى الذى كان يجوز الخطأ على جده فى قتال الناكثين والقاسطين ، ومن يتكلم فى القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت (٣) والصلة قوية بين آراء الزيدية والمعتزلة ، وقد كان زيد لا يخالف المعتزلة إلا فى أصل المنزلة بين المنزلتين (٤) .

وانقسمت الزيدية إلى ثلاث فرق سنتناولها فيما يلى :

١ - الجارودية :

هم أتباع أبى جارود بن المنذر العبدى ، وقد قالوا بأن النبى عليه الصلاة والسلام نص على إمامة على بالوصف دون الاسم ، وأن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على ، وهم فى هذا يفارقون بقية فرق الزيدية ، وقالوا إن الحسن ابن على كان هو الإمام بعد على ، ثم الحسن نص على إمامة أخيه الحسين ،

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٣٦ ، والاسفراينى، التبصير ، ص ١٦

(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢١٠

(٣) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ٢٠٩

(٤) ابن المرتضى ، المنية والأمل ، ص ٢٠

ثم صارت الإمامة شورى فى أولاد الحسن والحسين ، فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا إلى دينه ، وكان عالما وعارفا فهو الإمام ، وزعمت فرقة منهم أن النبى نص على إمامة الحسن بعد على والحسين بعد الحسن، وزعم قوم منهم أن الإمام المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولا يصدقون بقتله ولا بموته ، ويزعمون أنه هو المهدى المنتظر الذى يخرج فيملك الأرض، ومنهم من ينتظر محمد القاسم الطالقان ولا يصدق بموته[1] .

ويمكننا أن نستخلص من هذه الأقوال ، أن الجارودية هم متطرفو الزيدية وأنها مالت إلى الإمامية ، فهم قريبون من الإمامية لقولهم بنص النبى ﷺ على إمامة على ، وإن كانوا يختلفون فى أنه نص عليه بالوصف لا بالاسم ، كما ذكرت الإمامية ، وفى هذا القول مخالفة لرأى « زيد » الذى أجاز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، أيضا يوافقون الإمامية فى القول بتكفير الصحابة لتركهم بيعة على ، وهم يخالفون رأى « زيد » فى ذلك بعدم تكفيرهم ، أيضا يوافقون الإمامية فى القول بفكرة المهدى المنتظر ، وهذا مخالف لما ذهب إليه « زيد » ولقد كفرهم أهل السنة لتكفيرهم الصحابة وتبرأ منهم باقى الزيدية .

٢ - السليمانيـــــة :

هؤلاء أتباع سليمان بن جرير الزيدى ، الذى قال إن الإمامة شورى ، وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة ، وأجاز إمامة المفضول ، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر ، وزعمت أن الأمة تركت الأصلح فى البيعة لهما ، لأن علياً كان أولى بالإمامة منهما ، إلا أن الخطأ فى بيعتهما لا يوجب كفرا أو فسقا ، لكن ابن جرير كفر عثمان بالأحداث التى نقمها الناقمون عليه ، وكذلك كفر عائشة والزبير وطلحة بإقدامهم على قتال على ، وأهل السنة يكفرون سليمان ابن جرير لأنه كفر عثمان .

ولقد ذكر الشهرستانى أنه قد تابعه على قوله قوم من المعتزلة منهم جعفر ابن مبشر وجعفر بن حرب ، وكثير النوى وهو من أصحاب الحديث ، وقالوا

---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٣٠ ، ٣١

إن الإمامة لا يحتاج إليهـــا معرفة الله تعالى وتوحيده ، وإنما ذلك حاصل بالعقل ، وإنما يحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين ، فهى بذلك أمر تقتضيه الجماعة حتى لا يكون الأمر فوضى ، أيضا لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الأمة علما وحكمة ، وذلك لجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، ولقد مالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك ، حتى جوزوا أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد ، ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهـــل الاجتهاد فيراجعه فى الأحكام ويستفتى منه فى الحـــلال والحرام (١) .

وهذه الفرقة تبدو أكثر اعتدالا من الجارودية فهى تقول بقول « زيد » لكنها أخطأت فى تكفير عثمان وهو صحابى جليل له فضله ومكانته .

٣ - البتريـــة :

وهؤلاء أتباع رجلين: أحدهما الحسن بن صالح بن حى ، والآخر كثير النواء الملقب بالأبتر ، وهم يوافقون السليمانية ، ولقد عد الشهرستانى كثير النواء من السليمانية ، إلا أنهم يتوقفون فى أمر عثمان ، ولم يقدموا على مدحه ولا على ذمه ،وهؤلاء أحسن حالا عند أهل السنة من السليمانية ، ولقد ذكر البغدادى أن البترية والسليمانية من الزيدية يكفرون الجارودية من الزيدية لتكفيرهم أبو بكر وعمر ، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهم تكفير أبى بكر وعمر (٢) .

* * *

رابعا - نماذج من آراء الزيدية الكلامية :

١ - أسماء الله وصفاته : اختلفت الزيدية فى إطلاق اسم « شىء »على الله تعالى ، فهل يقال إنه شىء أم لا ، فالفرقة الأولى وهم جمهور الزيدية

---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٣٢، والشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ص ٢١٤

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٤ ، والبغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٣٣

يقولون إن البارى عز وجل شيء لا كالأشياء ولا تشبهه الأشياء [١] . وهم فى هذا موافقون لرأى المعتزلة والأشاعرة والماتريدية فى جواز إطلاق القول بأن الله شيء لا كالأشياء

وهم بذلك القول لا يقولون بوقوع التشابه بين الله ومخلوقاته فى إطلاق الأسماء ، والأساس عندهم فى إطلاق الأسماء توقيفى وليس قياسى ، أى يتوقف على إذن الشرع فى إطلاقه ، ولقد ورد إطلاق اسم الشيء على الله ، مثل قوله تعالى : « ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [٢] .

والفرقة الثانية : يتوقفون فى إطلاق اسم « شيء » على الله تعالى فهم يقولون : إننا لا نقول إنه شيء أو إنه ليس بشيء [٣] .

وبالنسبة للصفات فانقسموا إلى فرقتين :

الأولى منهم : أصحاب سليمان بن جرير يقولون إن البارىء عالم بعلم لا هو هو ولا غيره ، وأن علمه شيء ، قادر بقدرة لا هى وهو ولا غيره ، وأن قدرته شيء وكذلك القول فى سائر صفات النفس والذات .

ويقولون إن الله سبحانه لم يزل مريدا ، وإنه لم يزل كارها للمعاصى ، وأن الإرادة للشيء هى الكراهة لضده ، وكذلك لم يزل راضيا ، ولم يزل ساخطا ، وسخطه على الكافرين هو رضاه بتعذيبهم ، ورضاه بتعذيبهم هو سخطه عليهم ، ورضا الله على المؤمنين هو أن لا يعذبهم [٤] .

وقول هذه الفرقة يوافق ما ذهب إليه متكلمى أهل السنة من ماتريدية وأشاعرة .

ويبدو فى قولهم إنهم يوحدون بين الإرادة والمحبة والرضا ، وهم فى ذلك يوافقون المعتزلة والأشعرى ويخالفون ما ذهب إليه الماتريدية [٥] .

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٦ .
(٢) الشورى : ١١ .
(٣) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٦ .
(٤) نفس المرجع السابق (٥) أبو المعين النسفى ، تبصرة الأدلة ، ص ٤٠٥ .

والفرقة الثانية منهم : يقولون إن البارى عز وجل قادر سميع بصير بغير حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر ، وكذلك القول فى سائر صفات الذات ويمنعون القول : لم يزل البارى مريدا ولم يزل كارها ولم يزل راضيا [١] ، وهم فى هذا يوافقون المعتزلة فى نفى الصفات .

٢ - **خلق الأعمال** : يذكر الأشعرى اختلاف الزيدية فى ذلك إلى فرقتين :

الأولى منهم : يقولون إن أعمال العباد مخلوقة لله ، خلقها وأبدعها واخترعها بعد أن لم تكن ، فهى محدثة له مخترعة ، وهم فى هذا يوافقون متكلمى أهل السنة .

والفرقة الثانية : يزعمون أنها غير مخلوقة لله ولا محدثة له مخترعة وإنما هى كسب للعباد أحدثوها وأبدعوها وفعلوها [٢] .

وهذه الفرقة توافق قول المعتزلة فى نسبة الأفعال للعباد ، وربما يكون للصلة القوية بين الزيدية والمعتزلة وتتلمذ زيد على يد واصل بن عطاء أثر فى ذلك ، وأيضا يمكن القول إن قولهم بنسبة الأفعال للعباد كرد فعل لشيوع عقيدة الجبر التى آزرها الأمويون ليخمدوا نار الثورة ضدهم ، والزيدية قد وقفت موقف المعارضة والمقاومة لهم ، وفى وجه الأفكار التى أشاعوها ليثنوا الناس عن الثورة ، فهذا القول يتفق مع طبيعتهم الثورية ، فعقيدة الجبر لا تناسب مبدأ الخروج على أئمة الجور والظلم .

ولقد اختلفوا فى الاستطاعة وهل هى مع الفعل أو قبله ، فقالت فرقة منهم بأنها مع الفعل ، والأمر قبل الفعل ، والشيىء الذى يفعل به الإيمان هو الذى يفعل به الكفر [٣] ، وهذا القول يعنى صلاحية القدرة للضدين ، والقول

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٧ .
(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٨ .
(٣) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٨ .

بصلاحية القدرة للضدين مع القول بمقارنة القدرة للفعل عده المعتزلة قول متناقض [1] وفرقة منهم قالت بأن الاستطاعة قبل الفعل .

ورأى الزيدية فى خلق الأفعال يتقاسمه موقف المعتزلة عند بعضهم وموقف متكلمى أهل السنة عند البعض الآخر .

٣ - **الإيمـــان** : ولقد اختلفوا فى الإيمان على فرقتين :

الأولى منهم : يزعمون أن الإيمان هو المعرفة والإقرار واجتناب ما جاء فيه الوعيد ، وجعلوا ارتكاب ما جاء فيه الوعيد كفرا ، ومعنى الكفر عندهم ليس شركا بل هو كفر نعمة .

والثانية : تقول إن الإيمان هو جميع الطاعات ، وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفرا ، وذكر الأشعرى أن أوائلهم يقولون بالقول الأول ومتأخريهم يقولون بالقول الثانى .

وأجمعوا على أن مرتكبى الكبائر كلهم معذبون فى النار خالدون فيها ، لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها [2] .

وهذا يدل على موافقة بعضهم للخوارج فى الوعيد ، والآخرين لرأى أهل السنة .

وتعد فرقة الزيدية أكثر فرق الشيعة اعتدالا ، ويظهر ذلك من مقارنة آرائهم بباقى آراء فرق الشيعة ، وهم يعدون أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة ، ولقد نشأ فى الزيدية تيار يناصر آراء أهل السنة ، وتيار يناصر المعتزلة [3] .

* * *

(١) القاضى عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٦ .
(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٤٩ .
(٣) انظر الكتاب القيم عن الزيدية للأستاذ الدكتور أحمد صبحى .